

العبادة الحقّة



◀- زيّ العبودية:

كثيراً ما يرى العبد أنه الفعّال لما يريد في هذه الحياة، لتُمكنه من علاقة السببية القائمة بين أفعاله والنتائج، فيشرب الدواء ليتسبب منه الشفاء وهكذا في كلّ موارد التسبب.. ومن الضروري في هذا المجال الالتفات إلى أن طرفي النسبة وهو "الدواء والشفاء" منتسبان إلى الـ عزّ وجلّ مباشرة، وإنّ تسبّب العبد في إيجاد الربط بينهما.

فالله تعالى هو (الخالق) للدواء والمبدع (للسببّيّة) في الشفاء، كما أنه المؤثر في (قابلية) البدن للشفاء بذلك الدواء، وهو الذي بمشيئته يرفع السببية بين الطرفين - لو شاء ذلك - وإنّ أعمل العبد جهده في إيجاد الربط بينهما.. كما أنه بمشيئته أيضاً قد يحقق المُسبّب من دون وجود سبب عادي من عبده، كموارد الكرامة والإعجاز.. وبذلك لزم على العبد الالتفات إلى كلّ ذلك، لتُلا يخرج من زيّ العبودية إلى المتعال، أثناء تعامله مع عالم الأسباب.

- المتهجّ دون هم أولو الذّهيّ:

رُوي عن النبي (ص) أنه قال: "خياركم أولو الذّهيّ"، فقل: يا رسول الله ومنّ أولو الذّهيّ؟ فقال: "المتهجّ دون بالليل والناس نيام".

فالملاحظ أنّ الذّهيّ أمر مرتبط بعالم التعقّل واللبّ، ومن هنا كان هو المُدرك للآيات والعلامات الدالة على الحق، وقد ورد في القرآن الكريم: (إنّ في ذلك لآيات لأولي النهي...) والتهجّ حالة

عبادية يتمثل في توجُّه القلب إلى الحق المبين، فما الارتباط إذن بين الذُّهى والتهجُّد؟!

ودفعاً للاستغراب نقول: إنَّ للعبادة دوراً أساسياً في تكميل العقل من جهات: فالعبادة - في نفسها - لا تخلو من (تدبُّر) وخاصة في الأسحار، أضف إلى أنها (مانعة) لغلبة الشهوات القاضية على ازدهار العقل في الوجود البشري، أضف إلى (مَدَح) الحق الموجبة لتكميل أحب ما خلق، وهو العقل في هؤلاء العباد.. كما أنه يكسو أصحاب الليل من أنوار جلاله، جزاء خلوتهم به - ولهذا صاروا كما روي من أحسن الناس وجهاً - فإنه كذلك يكسو عقولهم من أنوار المعارف الحقَّة، ما لا يُعطأها جهابذة الفكر البعيدين عنه.

- استئفال العبادة:

إنَّ الأداء الظاهري للعبادة مع استئفالها، قد لا يعطي ثماره الكاملة، كالصائم نهائياً والقائم ليلاً - مستئفلاً لهما - ومرغماً نفسه عليهما.. إمّا (تخلُّصاً) من تبعات الإثم في ترك الواجب، أو (طلباً) للأجر في المندوب، أو (إلتزاماً) بما اعتاد عليه.. والحال أنَّ العبادة أداةٌ لتقرُّبُ المحبِّ إلى حبيبه، بل هو التقرُّبُ بعينه، والمفروض أن لا يرى المحب مشقةً في طاعة محبوبه، مادامت سبيلاً إلى ما فيه لذَّة وبغيته من الوصل واللقاء.. وعليه، فينبغي علاج موجبات ذلك الاستئفال المذكور، ليستطعم حلاوة العبادة كما يتذوَّقها أهلها...►